غبار الصمت

ديوان شعر فصحى

الطبعة الأولى
2020م- 1442هـ

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

ملحـوظـــــــــة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: غبار الصمت

اســـــم المـؤلف: هجيرة بختي

التصنيف الأدبي: ديوان شعر فصحى

رقـم الإيـــــداع: 19408 / 2020

الترقيـــم الدولي: 7 - 67 - 6830 - 977 – 978

تـصـمـيـم الغلاف: د. محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: د. محمد وجيه

رقـــــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

غبـار الصـمـت

ديوان شعر فصحى

هجيرة بختي

إهداء

إلى كلّ روح عبرت نهر أحرفي

وقاسمتني عبء الكلمات حتّى الوصول

إلى الضّفّة الأخرى

هجيرة بختي

****

مقدّمة

تقول الكاتبة أحلام مستغانمي «لتصبح كاتبًا لا يكفي أن يهديك أحدهم ورقة و قلم بل يكفي أن يؤذيك أحدهم حدّ الكتابة» و يقول أيضًا الكاتب محمد حسن علوان «طالما كتبت لحظة ضعف ولا أدري كيف شكل الكتابة حالات القوة»، هكذا كانت الكتابة دومًا بالنّسبة إلي جُرعة مهدّئات ومسكّن ألم حين تتربّص هواجس الخذلان والخيبات شراع الجسد، كنت قد وضعتُ يوما ما يدي في يد الثّقة وجرّبت ثوب البوح علّه يكون على مقاس الخراب الّذي بداخلي لكنّني و بمجرّد أن شبّكت أصابعي سحبتني الثّقة بعنفٍ وأوقعتني أرضًا لأُصاب حدّ النّزيف، وبما أنّ كبرياء المرء أعز من أيّ شيء في قواميسي ابتلعتُ غصّتي في صمت وكدّست أوجاعي الواحدة تلو الأخرى، حتّى أنّ روحي يومها كادت تغادرني حزنا لكنّها لم تجد سبيلا للذّهاب فبالكاد كانت تصل حبّات الأكسيجين لرئتاي، نفضتُ الغبار عن كاهلي و وقفت كبحرٍ في قصيدة لأركن الوقت في درج ذاكرتي عتابًا وأملأ زناد قلبي بالرّصاص، ثمّ خرجتُ عن ثوبي ومضيتُ لدكّة الكتابة دون أن ألتفت إلى الدّكة الأخرى، لتُصبح الكتابة من يومها مقام الخليل والأنيس، صرت أكتب كلّ ما يؤرق خاطري ويؤجّج روحي، ثمّ أزفّه إلى المحرقة كي لا يقرأ أحد بعدي ما أكتبه، إلى أن تصالحت مع حروفي وقرّرت أن أضعها في

مكان أكثر أمانا لها ألا وهو الكتاب، ضاربة مرارة مقاسمة الحرف و الآه عرض الحائط لأزجّ بنفسي أخيرًا في زنزانة البوح الغامض والإعتراف المشفّر بتُهمة غبار الصّمت، كلّ حرف في هذا الكتاب وراءه ألم و صراع داخلي و إظهار هذا الصّراع وإن كان في ثوب فني جمالي عميق لم يكن بالشّيء الهيّن لكاتبته، لذلك وعلى قول الكاتب محمد حراث « فقراءة بمعروف أو طيّ بإحسان »

هجيرة بختي

****

مهلاً أيها التَاريخ

مهلًا أيّها التّاريخ!
ها أنا أمسك طيف السّنون الهاربات
بين أناملي
وأخبّئ قهقهة الأنذال
على ساعتي
بين العقرب والعقرب
مهلًا
فبكاء الوطن يحرقني
وحقائب الدّهر الّتي بلّلت بالأوجاع
تمسح غبار الصّمت
بالأحزان
ها أنا ألفّ مدن البائسين
على عجل
وسكرات الموت حولي
تتراقص
هنا.. أرواح الأحياء موتى

هنا.. البيوت أضرحة
هنا .. نقشت ملح الدّموع على وجهي
مهلا ..
فأنا الّتي خبّأت الوطن في صدري
وحمّلت أرجلي لعنة الفرار
مهلا ...
طرق الأنذال بابي فجراً
فتّشوني...
قطّعوا أوردتي ..
وحكموا عليّ دهراً بتهمة الوطن
ها أنا ذا أقابل الموت بالجفاء
وأطرد لعنة السكوت
من توابيت الأحياء
ها أنا ذا أجالس النّمل
على فنجان قهوة
أشكو الملك
نذالة الحكّام
وأقاسمه رغيف القمح والأوجاع
فصياح الجوعى في بلدي

يصاول خيوط الشّمس
من ميل لأميال
وهدير البحار
كنداء القبور لا فرق بينهما
هنا قلوب الأمّهات
ملأى بالجمر والنّار
ها أنا أخدش حياء قصيدتي
وأسترسل في هجو أنذال
سرقوا
بسمة الأوطان من راحة يدَيْ
وأنا الّتي حروفي تمشي على استحياء
صرت أرقص على الأوجاع
وأحتسي الهجاء بالنّثر والأوزان
دعوني ..
أغتسل من وجع الخيانات
دعوني ..
أتوضّأ زمزم القوافي
ثمّ أصلّي
على الوطن الرّاقد على صدري

فأنا مذ لامستني كفّ المساء
وقبّلتني دموع الأمّهات
لبست ثوب الحداد
وما صرت أنا
لكنّي الآن أشرعت صراخ قلبي
وصفعت خدود الصّمت ألفا
حتّى جثا على ركبتيه
وحدها عيون الوطن
تعلم كيف مزّقتني أحجيات الحثالى
ثمّ اعتصروا دماي و قالوا ..
هو ذا خمر الدّستور
فاسكروا ما شئتم..
وحدها عيون الوطن
وحدها ..
تعلم كم من وجه
بات بالقول يخدعني
و هذا الّذي بيني و بين المعاصي
أنّي صحوت ليلا
و استرقت كبير الذّئاب بعض الحيل

و حين علموا أنّي انتصرت
و ألقيت غفلتي أرضا
على حلبة الصّراع
أرسلوا أصابع الخيانة ليلا
تخنقني
و تقتلع روحي
كي لا أحدّث الثّعالب
و الأسود و الأفيال
أنّ حكّامي استرقوا قوانينهم
و أعلنوا .. أنّي مدانة بجريمة قتل
وكنت أنا الجاني
والمجني عليه
ها هنا جثّتي تنطق أكاذيب السّافلين
وناصية الكتاب حزناً تحفرها
برحيق الدّموع والآهات
وأنا الّتي كنت أختبي
من نور البرق وحبر المساءات
صرت أجابه
رصاص الماكدين بصدري

وأطرق شوارع الورّاقين
بيتاً بيتاً
لأرى كم من طلقة عانقت جسدي
ولم تمتنِ
وكم من بحر احتسى روحي
ولم يقذفني إلّا نحو الأعالي

****

جُنُونُ الشّعر

جنون شعري يمسي
ويصبح
على القوافي
وليلي يصارع الحروف
بالكتمان
والاعتراف
شابت أغاني الماء على ورقي وقلمي
والدهر يعاند حبري
بالقصيد
والهتافِ
الصدر مليء
بنهر البيان مبتل
والثّغر مسترسل
كالحر الهارب
من المنافي
أسكنت بيت الشعر من لا ملاذ له

سوى... صدى الحروف
وبحور الأسلافِ
الليل طويل
والصباح عذب على صفحتي
والماء لا يطفئ الجمر
ليس بكافي
الأوطان بيدي شموع لا لون لها
غير
صوت حبري
معبّئة بندى الأوصافِ
كتبت صوتي صارخاً
حتّى صمت من حولي
فأيقظت بديع الزّمان
الغافي
آمالي شعار قصائدي
كلّما كلّمتني الأقدار
بالبرود
والتّجافي
....

تحاورني السّماء
كلّمي ...
وتغرّي مهجة حبري
فأنظم همس الرّوح
ولون الأطيافِ
والمساء يدوّي بمسامعي نشيده
فتهتف مقامات القلب
وزهور الأصدافِ
أبلغ السّما
وشعري منبر الحيارى
وأنين الرّوح مضجع الخواطر
والارتجافِ
حروف كلماتي تبرعمت
وامتزجت
ألوانها
وزهور القصيد
تنبت من تربة العجافِ
ألقيت حبري على ورق
فزرعته...

وشهقات الصدر ثماري

ودمع الظّلم

والإنصافِ

****

سَكرةُ حُزن

كفكفت دمعي
فلا تسألوا عن شجني
ولا تنظروا حصير أوجاعي
هنا الأشعار ...
تنقش وجهي بالدّمع و النّارِ
لا تبكوا خلف أطلالي
فأنا حتّى من الرّماد أشتعل
و من أصابع الموت
أحيي مهجة الأشعار
هاهنا صمتي يخاصمني
ويعاتبني بالبوح
وأنا حُزنًا أرتمي على قصائدي
أؤثّث عيوني بحمرة الدّموع
وألتفّ على عنق الأشجار
لا شيء يطفئ حريقي
فلوعتي ... كطيف يدبّ خراب بيت

تتراقص أشباحه
من سكرة الحزن
فيجلس على فجوة الجرح مخدّرا
يبكي الأزهار
لا تسألوا عنّي ...
فكلّ أمري قلب تشبّع بالآه
وثغر باسم، كتوم
و روح نائمة على المواجع
تتمايل على غصن الدّموع
و تتوصّد حنين الصّبّار
لا تسألوا عنّي...
فإنّي أتّكئ على حبري
و أغفو تحت أوراقي البيض
و سرير أوجاعي يضمّدني
و يلفّ روحي بقماط الآهات
كرضيع لم يبلغ الفطام
كعجوز بعد الإحتضار...
لا تسألوا عنّي..
فشتاء قلبي ما عاد يأويني

و الشّوك الّذي ينبت على تراب روحي يغرزني
فصرت
أبكي على كتف الأقدار
اتركوني مثقلة بجراحي
أداوي غصّتي بماء العين
و أسبح على جوى الوسن
بلا تجديف
اتركوني ملقاة على بيان حبري
و حنين الأنهار

****

بكفّي دُموعٌ

عذرًا يا عربي
فبكفّي دموعُ و أوطان
و قصائد كالنّار
و قوافل من الخذلان محمّلة
بالأحزان و الأمنيات العذارى...
بكفّي
حروف ترتعش رُعبًا
فتسيل احتضارا
بشعر عربيّ
كمساءات
تنحني على ظهري
و تَحفُرُ انكساري
جُرحًا مُرّا
كالدّاء
عذرًا
فبأوطاني دبّابات

تسدّ جوع الصّبيان بالقنابل و الرّصاص
و تمسح دموع الأمّهات بالأكفان
ها هنا تُزَفّ الصّبايا عرائساً بالتوابيت
و زغاريد الأهالي
صراخ!
و آهات!
و بارود!
و دخان !
عذرا ...
فهنا نسوة تجرّ الأوجاع
وتبلّل الوسائد بالدّموع...
وقصائد كلمى من تحت الحطام
ترثي الرّاحلين بلا وداع
هنا السّماء تبكي حزنا
على جثث بلا قبور
وأمنيات مذبوحة بالصّمت
والخذلان
هنا .....
ابتسامة خرساء

وصباح مرّ
وحزن أنيق
وفتية تزفّ الأحجار والأعاصير
من النّصر والصّرخات العجاف
الذّاكرة
سنين من الأوجاع
و دواوين من الشّعر المقفّى بالتّكبير
و الدّماء
و أطفال نيام على سرير الحطام
لا يقومون إطلاقا
بكفّي.. آهات شيخ
يدثّر الأكباد بالتّراب
و جرح يفيض بحسرات الاشتياق
يغازلُ قصيدا مرّا
كطعم الإنكسار
عذبا كدقيقة صمت
على الرّاحلين
عذراً
فشعري

ألف جُرحٍ عربيّ يعانقُه
وألف سماء تضّمّه
ولا تسَعُ
صدره المُكبّل بدموعٍ أرامل
حسنَوَاتٍ
كمَوتٍ جَميلٍ
وفَقدٍ مُرّ
وشهيد حيّ لا يموت
وشعري
لا يحمل أثقال المسافات بيني
وبين العزاء
ها أنا حزنا أترك الزّمان محترقا
على حروفي
وأنثر الرّماد
بقصيدة نثرية حدّ البكاء
ثمّ أزور البحر
وأركله بالأحجار
والخيبات
انتقاماً لغصّة مُعلّقة على صدري

وحسرات لا تعرف كيف تنطفئ
ها أنا
أقبّل أوطاني احتضارا
وخدّي دموع وكلمات ثكلى
ودخانٌ كاللّثام
على شُرفَة صدري
يشقّ رئتي بالفقد والآه
وأنا
أعانقُ الفراغ اشتياقا
وأبكي على نيران تمسحُ ليلي
بالقصف والقنابل
ثمّ أتّكئ على أنين روحي
رعبًا
وثغري
صلوات وارتجاف
وذاكرة علّقتها على جدار وجدي
بالتّكبير والأمنيات
عذرًا...
فإنّي أكسر ضجيج الخراب

بصمتي
و فمي حبر و أقلام
و جُرح عربي
يعانقُني
و يرسُم آهي خطوطاً
على كفّ يدي
عذرًا يا عربي
فإنّي زمّلت بالقصيد أشجاني
و صدر حروفي عار في وجه العدى
عذرًا ..

****

لغة الضّاد

بحر الفصيح ما أضحى يهتدي
و الأصنام في جوف سكونها
قوامُ
مسجون في سجعها البديع
طريح في جمالها...
الحرف و الكلامُ
في أحشائها لذيذ البيان
و الآداب أذواق
الماء في حلقها
السّيف و الأقلامُ
تبعثرت القوافي في ضلوعها
و لعبت الأحرف في صدرها و ناموا
هذي أمّ اللّغات
ألحانها مدارس
تعلّمت في لوائها دول و أعلام
فكفّوا عن التّكلّف في بيانها

و إلّا نطقت ألسنتها عتاباً

و لاموا

شاخت عقودها

و فؤادها ينبض صبا

هي الشّباب و الأحلام

ترفّعت ببديعها عن كلّ سلطة

لن تدميها حرب و لا أوهام

الكلمات في عيونها

رنّات سكارى

ترقص على أنغامها الأسطر

و الأقوام

لغة الضّاد كسحر

تُعلّقُ الرّوحَ

تداري الزّمن المرّ الخجول

و الأيّام

ينادي عليها عابر

بين التّهجّي

هو الجمال في عينيك

و ثغرك ابتسام

البيان في ملامحك أسرار
وإن أخفيت عنّي نورها فالأسرار تلام
لا تلقي عليّ من كتمانك
دعيني أغرف من فنّك
فكتمانك حرام
دعيني أمشي مثقلا بنحوك
دثّريني بجناسك
لتنالني الأحلام
تردّ عليه
و الألغاز تقطر بلسانها
هي الأسرار جمالي
و الإبهام
من قصد بابي تاه في قواميسي
و سجد لعروبتي القول
و الكلام
أغري ألسنة النّاظمين قصائد
ففتنت بأشعاري
الإنس و الأنام
البلاغة سلاحي

و البديعيّات فرساني
بهم خضت معارك البرق
و الأصنام
أنا من جاد في متوني جنود
بالفصحى تألّقوا
و للفصيح غرام
أنا من نادى عليّ الدّهر
و مدحتني الأقمار
و ألقت عليّ السّلام

****

رَحيقُ حُلم

أفتّشُ في عينيّ بين الحزن
و الخراب
ما بين الآه و الآه
فقدت كلّ صوابي
تلك الأحلام غارت
بدمع قافيتي
و الرّوح فاضت من وجدها كالسّراب
تشدو و أنين الفؤاد لشعرها
نغمُ
في حُسنِها
ترنّمت بقدر الحبّ أتراب
نمت و في أتربة الوجدان
مطلَعُها
أسقيتها من ماء عيني
و سكّر أهداب
و في مهجة الغايات فضلا أسكنتها

برحيق الصّنيع كسوتها
و لذيذ أنخاب
تراودني بليالي الآه...
تصون وجداني
فتسقيني من بعد الضّيق
بعض رحاب
و تأخذني من يد الأوجاع
تراقصني
كفراشة تتمايل على قدس الخضاب
بحبر الأمنيات
نقشت عبير وجدي
و من صبابة الأحلام
رسمت كلّ ألقاب
وقلبي فقيد روح ثكلى تقطنني
إذ تقطّعتُ بالأوجاع
خاض ثورة ألباب
و من مهجة كلّ داء يبتغي علّتي
نثرت مناي
زدت في الحلم رغاب

إذا ما الدّهر ابتغى عزف مقلي
عزفت عزما في لحنه
أسكرت عذاب
و جُدتُ بالبديع صنيعا
بالحسن مثقلا
و تركت آهي مذبوحا
على دكّة رُهابِ
بأحبال الشّعر أعدمت حزني و شجني
و بحار القوافي طارت
فوق سحاب
على عطر خريف ماطر
دبّجت منايا
و حكت قصيداً شاخ على موج الإعراب

****

أحبالُ المسد

ما حيلتي!
فأنا أعزفُ لحنا بلا موسيقى
و أقطعُ شريان الصّمت
بالحروف
أواعدُ المطر سرّا تحت لحاف الأمنيات
و أجمعُ الحُطام
على كفّ قصيدة
أسقيتها بالشّهد و الرّحيق
ما حيلتي!
فأنا أخيّمُ بالحلُم
على واحة صدري
مرتحلة
و أسكبُ الأماني على قدحي
بالأغنيات
لستُ أحدّث بشرا بعد الآن
فقد قضمتُ عاصفة

البوح من دون ماءٍ
و لطّختُ أكمامي
بالأشواك
و قد
مزّقت ثوب التجاهل على جسدي
و علّقتُ التّار على جدار مقلي
بالأحبال
ها أنا
أنادمُ الرّيح ثرثرة الشّاي
و خرير التّراب
الّذي استرقَ الماء من حلقي
و أُعاتبُها إذ فرّت
و طقطقت الأبواب على
صدري
حتّى اتّكأت روحي
و أهمسُ في أذن المطر
بأوجاع النّسوة
حتّى ينكسر ضلعي
الأخير من الصّمت

و يُسدلُ شراعه على ناصية
الزّمن
وحدي
أهشّمُ زجاج ذاكرتي
و ألبس عباءة النّسيان قصرا
حتّى تهترء
و وحدي
أقصّ خصلات الضّوء
بأجفاني
و أرقُدُ من غير موعدٍ
على حبال المسد
ها أنا أذبَحُ حسرتي
على فم المنفى
و أراقصُ الحلمَ على كبدي
حتّى تفرّ أقداح الهواء
من يدي فزعا
و تخلّف غبارَ التّمنّي
على عيني صبيّا
لا أقدر على فطامه

و أخفضُ أهدابَ الأحزان الموتى
من دون عدّة
و أنجبُ أربعين قصيدة
من الحزن
هو ذا صوتي يمشي وحيداً
على رصيف ثغري
و أنا أعلّقُ نعالي
على باب الفؤاد
حدادا
أغرقُ دونَ صراخٍ
أحترقُ دون رمادٍ
و أسرقُ الجمرَ من حصّالة
ذاكرتي
بيدٍ مبتورة
و ساقٍ عرجاء
حتّى الثّمالة
و أُعاقبُ فتيات ظلّي ظلمًا
على مغيب الشّمس
قبل عصر الكبرياء

وحدهُ التّاريخ يعرفُني من دون هوّية
يُقلّصني من عبء المسافات
شبرا إلى الخيبة
وحدهُ التّاريخ
يُجدّلُ ظفائر قلبي
بالسّؤال
كيف حالي؟
و أنا وُجدٌ ضريرٌ للصّراخ
أنحرُ الكلمات على ثغري
و أعتصُرُ جُرحي
على أوراق بائدات
و حبر مالح
بالعبرات

****

آهات الشّعر

آهات الشعر تثمل خاطري
وكأس البيان
يغري الجسدا
ضاع الحرف
والورق صامت
واللّسان يكذب
مثلما عهِدا
تلاطمت أمواج الدّمع
بالقلب
ودخان الأسى
يحرقنا الكمدا
ألفيتم روحنا مصلوبة
على جمر
الخذلان
و الصّدر يعانق المسدا
فهلّا عرفتم

كم داءكم يسفك الدما
أم اتّخذتم الداء
ألاعيبا و عمدا
سقيتمونا من الجراح ما ألفيتم
فشربنا كأس الأحبّة
حتّى نفدا
الذنب أنّنا يغرينا وعد الحرّ
و لم ندرِ أنّه يكذب إن وعدا
أغرتنا ملامح الشّمس
حتّى عمت
أبصارنا
وأحرقت القلب و الكبدا
الظّبي يجري في عروقكم مسترسلا
و التّفس تدّعي
الضّراغم و الأسدا
نحن سنين عاتيات أدركتها الحكم
فلن يجديكم ادّعاء السّيوف
و الغمدا
أمثالكم بيعت رخيصة بنخاسة

و كلّ ما اغترّوا به ضاع سدى
لستم سوى أجسادا
مثملة بالخذلان
تضاربت فيها الرّذائل
دائماً أبداً
وإنّا لنا بالقلب لوعة
تزيد اشتعالاً
كلّما همّ جرح القلب أن يبردا
ترى في عينينا الهوى
مستتراً
و الشّوق يفدي من هدانا التّكدا
و تعذلوننا و نحن لسنا بضارّيكم
فيا ليت القلب يعذل يوما
ما وجدا
و لا عاصم لنا اليوم من نيرانكم
فبحر الشّعر يحيي
فتيل ما أخمدا
و الأسى
رحيق الحبر و القلم

يزيد حرقة

كلّما صوتكم ابتعدا

ما عسانا نفعل و جرح النكبات

فمن بات يضرّنا

بالقلب قد رقدا

سلاما على روح تكوى بالغدرات

مناها فجر تفجّر

بالنّور و المددا

****

ذاكرة ميّتة غرقاً

ألقي يا روح قصيد الجرح
فاسمعي
هل كان لآهي صوتاً
أو لأدمعي
أنّي غضضت البصر عن وجيعتي
فصرت مفتوناً بالبكا والتّضرّع
صرت كشيخ طاعن
يصارع حتفه
يأبى الموت
على فراش المهجع
ففرّ هاربا بالأيّام و الدّاء يلاحقه
و الموت حبّاً له
يعانقه بالأضلع
متثاقلًا...
أحمل خطواتي
صرت تائها

عاشقاً للبحر
فمن مثلي بالقبر مولعي
متيّم بوطن هو الحبيب
و ما أحببته
فانظروني بالحبّ
قد لقيت مصرعي
انّي في الحلم
و لا أكاد أستفيق منه
أيقظوني من غفلتي
لأنسى توجّعي
خذوا ما عندي وأرجعولي وطني
و من راح عنّا يوماً
أإليه المرجع؟
ما عندي غير اسم ورثته برهة
فهل يكفيكم اسم
حملته بالأذرعِ
سأرمي بي إلى الأمواج لتلقفني
كما تلقف الحروف في السّجع
و أروح باحثاً عن ماء يرويني

فأنا ظامئ
و أمكث بقلب المنبعي
سآخذ حلمي بعيداً
و سفينتي تحملني
كما يحمل السّاهي على المضجع
أنا مهاجر
و صراخ الأرض يرثيني
و البحر ينادي هلمّ إليّ
إن لم تستطِع
فأذهب و دموع الأمّهات يكدن يخنقني
و القلب أتركه لهم
و الدّمع المترفّع
فآهب و الوطن بثوب الحداد مودّع
و البحر يأتيني بوجه الخائن
المفزع
فأستنجد الموج أن يحمل عنّي جثّتي
ها قد بعت عمري اليك
فلتدفعي
خذيني إلى أرضي

و اتركيني هناك
فتدفنني أمّ
كانت تنتظر يوم مطلعي
فتردّني خائبا وحشود الموت أريقها
فتبعث قميصًا
ينبّئ الأحباب بمصرعي
فأشهق كلّما رأيت سيل البكى ورائي
و الرّوح تأبى
أن تحمل لومي و هلعي
و الأهل و الأحباب قد مرّوا بناظري
و الآهات شعري
و قلبي المتصدّع

****

ساحةُ الإعدام

أجلسُ...
و أوراقي البكماء تكلّمني بهمس
لا أدري.. أيّ فاه يكلّمني
و أيّ قلم
فالشّعر انتحر على آهاتي
و القوافي لم تعد تزرني
حروفي لا تكفي
و آن زمن الاستسقاء
سأستسقي مطر الحروف و الكلمات
فقط..
لأكتب آخر ما يخطر بقلبي
و أعتذر للشّعر
على ملايين موت يعتريه
كلّما لامست أناملي كيد القلم
كلّ يوم أعاتبني
أحدّث نفسي مليّاً

لا تقصصي رؤياك على القلم
فيكيد للشّعر كيداً
قدّرت الأقلام للبوح
و قدّر للشّعر أن يموت باكيا على يدي
اعذرني فلا مأوى لي غيرك
أخيراً أسمع همس الأوراق
بعد صراع بين الفؤاد والمقل
الفؤاد يعشق البوح
والمقل لا يليق بها الدّمع
و الشّعر لا يستحقّ أن يموت
بالحزن و البكا على خواطري
أمسكُ القلم وألقي على الحروف
آخر تعليمات الكتمان
لكنّ الحبر عاصي
ينسلّ من أناملي
و ينزع سيتاج كتماني
من دون إذنِ
حتَى
تشاركني العبرات مأساتي

و تستسلم للقلم فهو الأقوى
و أبدأ معركة الاختزال
أمحو كلّ ما يستحقّ أن يغادر مخيّلتي
على ورق أبيض
و حبر داكن
لتصبح لي ذاكرة من ورق
و قلب من زجاج
أمّا جسدي فيبقى متأنّقاً من الخارج
و متصدّعاً من الدّاخل
كالشّعر تماماً
فالشّعر يراه كاتبه روحاً محطّمة
أمّا قارئه يراه فنّاً من الأوجاع
أكتبُ
و أركل كلّ الإعتبارات عرض
الحائط
فالشّعر هي فرصتي الوحيدة لأتصالح
مع نفسي
و أعقد هدنة مع آلامي
و فرصتي الوحيدة

للقصاص!
الورق هو ساحة الإعدام
و الذّاكرة هي الجاني الوحيد
الّذي يستحقّ القتل
العين بالعين و السّنّ بالسّن
و الذّاكرة أظلم!

****

وكم خانتِ الأقلامُ

تجتاح قلبي
بحار من شوق الرسول
ثقيلة عليّ أحرف
أمواجها
عميقة هي أصداء صوت حبّه
عقيمة هي الأوصاف
في وصف مختارها
يحدّثني التّهجّي في مدحه
والمدح في خصاله
كتب ضئيل انتاجها
نفسي وإن سوّلت عليها الحروف
لن تلقى في الحديث عنه
غير متون
يا إجحافها
وإن نظم القصيد
في واحة عطره

تفجّرت الأشعار ينابع
و كم خانت الأقلام مالكها
و كم عجز لسانها
حنّت الأزمان الى نور الحبيب
واشتاق الفجر صلاته
إذ هي كروح المياه وخريرها
خصاله ان رحت أكتبها
تاهت كلماتي
بقاموس الزهد
تبحث عن العفّة فارسها
فتنطق مهجة حبري
في ذكر جماله
سيّد الخلق ما أطيب مكارم أخلاقه
و ما أطيب أوصافه
إذ هي الحدائق زهورها
وإن نادمت اللّيالي قائمها
تسرّ بذكره
والذّكر في ثنايا أسماءه صلاة
أدّيت مناسكها

متى تدرك أنّ الرّسول مرّ من هناك
خذ بيديك الى سبيله
فبترابه دواء
كلّ علّة خفّف أوجاعها
محمّد ابن الثّكلى إذا فقدت يمينها
واختلطت عليها الأزمان
فما أدركت مدحها
من هجائها
محمّد أمّ اليتامى وآباءهم
مهنّد المستضعفين
إذا دقّت الحرب أوزارها
مسك الختام خيرة آله
أشعل أوطانه سِلماً
وأطفأ نارها
أخمد جمر الجاهليّة في قومه
بعدما عانقت نهاهم ظلامها
و قبورها
و اختلّت الأوزان في أكيالهم
فكان وعد الأقوام ذلّها

و ثبورها
أجار البنات حين تعثّر محياهم بحتفه
فحرّك حنوّ الدّماء
و زال جورها
أتمّ مكارم الأخلاق
و ختم الكتب
منها انجيلها و زبورها
محمّد و الميزان بكفّيه يسموه النّدى
جدائل نخلة
ألقت علينا تمورها
و كلّ نفس بلقائه تسرّ
إن ذكرت الحبيب جاءها حبورها
و إن ذكرته سال الشّوق بدمي
و طارت الكلمات من فمي
نسيت عروقها
و جذورها
و تقطّع نفس الكلام
بروحي بُرهاتٍ
لم يُجِدِ الشعر في شوقها

و لا غرورها
و خاب عن قلبي أقلامه
إذ اندملت جراحه
و جبرت كسورها
محمّد خير البريّة و الأنام
ما أنصفته اللّغات وصفا
و لا عدلت فيه سطورها

****

جادني الشّعرُ

جادني الشّعرُ
فكتبت الدّمع على الحيطان
و الأبواب
وسال ثغري حروفاً
فلم أجد فيهم غير
اللّوم و العتاب
حادثت مقلي مهلة
ترى ما الّذي
أبكى عينا
اصطفت
بالصّبر عند الصّعاب
أهو الدّهر يستفزّها بعض حين
يهدهد الفؤاد بالتّكشير
و الأنياب
أم أنّ الزمان قد آن أوانه
و قد اشتاق للّهو والتّصاب

ترى الطّفل يلاحق الموت ركضاً
يكاد يعانقهُ
يفرّ من
الدّمى و الألعاب
ترى الأمّ بعده
تجري بين القوارب
و الدّمع على الخدّ يسابقها
تنادي
أيا كبدي
أغرفت من
الموت قاب؟
أم لا زالت حشود المنايا تصارعك
تتخبّط بالموج؟
أتسبح
بالدّم و الخضاب؟
فلا أحد يجيب سؤلها
غير
بحرٍ يعانق قميصاً
قدَّ من سكرات الخوف

و الرّهاب
بات بالوصيّة محمّلاً
كرسولٍ
يحمل من قبر الأموات
مِقول الفقيد
و الموجِ
و الأتراب
مشى بدرب التّيه
إلى الوطن راجع
بوصيّة الغريق
إلى البلاد العود
وللأمّ المآب
أمّاه!
أمّاه لا تبكي عينك
فإنّ دمعك إذا فاض
سقيت من منبع الذّل كأسي
وشرابي
لا تبكي
فلا ذنب لي

غير أنّي
قد كبّلوني كرها
قيّدوا حبوري و شنقوا
رقاب
يسدلون جدائل حرّيتي رياءً
و يقطعونها
بالخناجر خفية
أترضين موتي على يد الغصّاب؟
و أمّه جسدٌ بلا روح تضمّه
أيبقى للرّوح طعم
بين
الحطام و الخراب؟
ثكلى
مكلّلة بالجراح
ما أثقل دمعها
ما أعظم همّها
و الدّمع أثقل من الأهداب

سوريا

بمن أداويك يا حبًّا لن يتوب؟
يا ذنبًا أطهر
من عفّة مريمْ
بالسيف أم بالشعر
أم بحب ثائرٍ
يعيشي عروقي وكلّ قطرة دمْ
أم احتضر موتي في شباب
يتخبط في عذابك
وجد وعُدمْ
لن تغريني سنابل حرّيّتي
و لا يمامٌ
يُغرّد عدلا
و قد ظلمْ
فخذيني أسيرة في دمشقك
خذيني حرّة في حرب
و ألمْ

أغرقيني بنهر الفرات عتبًا
أبلغ حلبًا عرجاء
سليمة القدمْ
بمن أرضيك يا فتيل وردٍ
أحرق فأعطى
و لم يحرمْ
بدعائي؟
بصلاتي؟
بحزني؟
أم برحيق حبر مختوم
و قلمْ
أيرضيك مسكي العليل؟
و صوتي الملفوف بصبر مُبهمْ
أترضيك تجعيدةٌ بشبابي العجوز
و عمري طفولةٌ
و قلبي هرمْ
سألتك فظنّني الغريب مبهما
و كلّي جواب
و قلبي علمْ

روحك و إن عُذّبت
تبقى ملكا و يبقون ذليل الخدمْ
روحك جمرٌ
في صدر
عاشق حبيب
من جزائري لمصري إلى الحرمْ
و كم يريقني الغزلُ
في رسمك
بلون من خضرة الجنة
و زرقة اليمْ
أرسمك فتاة بجمال الوطن
و شغفًا
من سحرٍ و علمْ

****

يوميات الحجر المنزلي

يسألونني كم دقّة طرق المساءُ على بابكِ؟
و السّاعة تشير لجرحٍ بقلبي
و رعشة على ثغري
و أنا..
أغزلُ الصّمتَ بفم الحسرة
و صدري يغتسلُ برُعب الفقد
و رقصِ الأناملِ المرتجفة
ها هنا أجدُني
أصارعُ الحجرَ
و أطاردُ هواجسي بالأحجار
و الأشغال
و صدري حيرة
و ارتباكٌ يضمّدُني ارتجافا
من فيروس يطعنُ كبدَ أرضي
بالخناجرِ
و يفتّش عن جسدي

حارة حارة
ها أنا أفتحُ دفتري
أكدّس الحروف على أوراقي
أقطّعُ ذاكرتي كتابةً
و قلمي مذبحةٌ
أكتبُ الشّعر
و هو يكتُبُني
مذ طرق الوباءُ شوارعي
بتوابيت يتامى
أثقل الدّاءُ حملها
فرفعتُها بماء العين و الأحزان
ها هُنا أجدُني
أصلّي و أخاطِبُ سجدتي
بالدُّموعُ
و وجهي ملحٌ و خُطوطٌ
تحفُرني بالبأس
أعلّقُ أثوابي انكساراً
أطويها أمنياتٍ
و أطهّرُها ألف مرّة

بالماء و الدّواء
و لا تنضب من أشجاني
أعانقُ الفراغَ حتّى يختنق
فأنثر صغار بيتي على أسطر
قصيدة ضريرة كروح
ممزّقة بأرقام
رهائن المستشفيات
أطبُخُ دروسهم على نار هادئه
كالّتي تقطُنُ داخلي
و تنثُرُ كبدي رماداً
و صدري جمرًا
لا ينطفئ
ها هنا أجدُني
أفاوض الأطباق
و الكؤوس على طاولة
نفسي
أُجبرها على الإستحمام
و أربتُ على كتِفها عنوةً
حتّى ترقُد

على مياه يديّ
ثمّ تُجبرني على إنتشال حزني
و تصفعُني
بتمزيق الدّقائق و السّاعات
حتّى أرفع
مآزري البيض استسلامًا
و أخلدُ للنّوم
على كُتُبي
و رواياتي
عساها تداويني خلسة
من وجع السّقم...
و ألوذُ في بحرها
بالفرار خفية
لأرتمي على أضلعِ
العالم المغدور
و أحتضنُهُ بُرهةً
برحاب الوُجدِ
حتّى تفيض مُهجتي
ثمّ أتبّلُ حسراتي بالطّبخِ

و أقطعُ دابر الدّموعِ بأذواق
و أشكال
رسمتها و حشوتها بالفراغ
ليُلوّنها فجر الغد
بالشّفاء
و أعلّقها على حبل الإنارة
احتفاءً بالنّصر

****

وجعُ لاجئ

يا أرضُ رفقًا
فإنّي أمشي بلا وعيٍ
أضاجعُ فراغ الرّوح بالعزاءِ
و أرافِق وِحشة المكان لقلبي
قدمًا بقدمِ
رِفقًا
فإنّي قبّلتُ جبين مدينةٍ
لا تُشبِهُني
و زُرتُ ألف عرّافٍ
لأمسح الذّنب عن شفاهي
و لم يُغتفَر
سأخُون كلّ الشّوارعِ
و القرى
و المداشر
جهرًا
و أنتعلُ حذاء الدّمارِ

لأركضَ خلفَ الحنين
مكسور الجناحِ
و أستلّ سيف الحزن من خافقي
لأطعن صدر المنفى
بالأوجاع
فغيري ..
هناك يُقبّلُ مدينتي
بدلاً عنّي
بل
يضعُ في جُرحي ملحًا
لأحتضنَ صدرَ النّار
حتّى الرّماد
و مثلي ..
قتيلٌ
يُعانقُ سياط القصفِ قصرا
و يفتّش عن رائحة الأمّهات
في حُضنِ الخرابِ
سأمزّقُ كُلّ التّأشيرات
على ظهر الاشتياق

و أركُضُ حافيًا
لأبلّلني بالحُطام
فسماءُ بلدي تُمطرُ قنابلا
من الفسفورِ
و الوجعِ
و أُدثّرني بالقوافي
على تابوت الشّعر
بردًا
حتّى تنزف أناملي
سأقطعُ قُماش المسافات
على ساقي
و أسافرُ
على ثغرِ الوقتِ
من بحرٍ لبحرٍ
باحثا عن رُفات روحي
وسط الهجران
لأضعني بأجفان الوطنِ
مُتخمًا بالحنين
فقد ارتديت جُنون الشّوق

في برد اللّاجئين
معطفًا
و لم يُدفِني
رفقًا
فإنّي أختلِسُ
دُموع الأطفال من حُلُمي
خِفيةً
و أصرُخ في وجه الرّصاصِ
حتّى تفيض روحي
و صوتي
لم يتجاوز شبرين
من نارِ قَلبي
فمثلي ..
جُندِيّ يصدُّ الموت
عن صدرِ أمّي
و يذرِفُ الأحجار
على جذع التّاريخ
ثأراً
و أنا

أحملُ خنجرًا بأذرُعي
و لثاماً على وجهِ قصيدتي
لأُسافر
عبر الأوجاعِ
دُون حقيبةٍ
و أرى فتية يجُرّون المنايا
في الأجسادِ
يُقبّلُون خُبزاً من تحتِ الحُطامِ
و أكواباً سالت مهجَتها
بشاي الغائبين
دُموعاً و أسى
و أرى ..
رشّاشا يطعنُ جبين الأبِ المُناضلِ
خُذلانا
فيُلطّخُني بالفقد و الرّحيل
سأقطعُ ذاكرتي
على خارطة الوطن
حُزنًا
و أقضم غصّة النّسيان

بين الآه و الآه

فغيري..

هناك

مُستوطنٌ

يحتسي قهوةَ

الذّل على شُرفَتي

و يبكي على صدرِ بيتي

فرحًا بِموتي

و مَنفَاي

و أنا ها هُنا

أجدُني أسيرا بأضلُعِ الكلمات

أُقاتل صمتي

و صُراخي

باحثا عن وَجعي

في حقلِ التّاريخ

و فوضى الخِياناتِ

و بُكاءِ المطر

و أجدُني ..

غريبًا في جَسدي

أُصارعُ الغياب في ضفّة اللّيل
و حفيفِ الشّجر
سأكتُب جُرحي مُعلّقة
من دون حرفٍ
و أذبَح صرختي على هامش
الأوراق
من الوريد إلى الوريد
انتقاما
لعبء المسافات
و حسرة الوقت
فأنا..
ما عُدت ذاك
الّذي يُجابهُ الوُجد
بالخناجر
لكنّني
أصفعُ وجه التّراب بدمعي
نحيباً

وأجلسُ على غصنِ الكلام
لأعتصِر البارود من حلقي
وحيداً
وسط الأوجاع
وحيداً

****

يا روحُ لا تشتكي

يا روح لا تشتكي
و لا تنادي
فقد انشقّت أضلع
صدرك
حزني و سوادي
عيوني و عبراتي تعاتبني
و النّار الّتي بفؤادي
قدري المتبون يلاحقني
كما تتلاحق العاديات في البوادي
فانجلي
يا من تصدّ حلمي
و انجلي
يا ستائر انكساري
عن سطور ميعادي
كفّت جسوري عن بوح أسرارها
و اختلفت مضائق بحوري

كما اختلفت عنّي أعيادي
فألقيت عنك عبئ أمنياتي
و زجر أحلامي
و اتّخذت الغرب وجهة يأسي
و أملي بالشرق ينادي
فأضحيت ثكلى طموحي
و بتراء أهدافي
و نسل آهاتي أخذعني طقوسه
فبصمت اليه انقيادي
يا روح
ما لي غير قلب
غرقان في كثبان رمله
و عينان تستنجد بثمارها الزمان
و بعض الأيادي
جوارح كسرت حصون قلاعها
و تبعثر رمادها
فلم يبقى منّي اصراري
و لا عنادي
قبر ذكرياتي نشف ريقه

يشكو الجفاف
و قد بلغ الجفاف حلقي
فمي مليء بالأصفاد!
وجداني دمه بالأسى
موحل...
على جرحه رموز
من حزنٍ و أعداد ...
فاعذري خيبة أملي
فإنّي رهينةٌ
و كفّي شكواك
و لا تنادي

****

حديقة من الزّمن

مددت كفّي علّني..
أقطف حبّات مطر
جلست على كرسيّ الأقدار
و الأوهام تلازمني..
فقصدتني العرّافات يقرأن كفّي
و لم تأتِ قطرات المطر..
أمسكت فنجاني
غير مبالية
و رحت أرتشف قهوتي
مرّة كزماني
لم آبه لمواويل العرّافات على أذني
كلّ ما همّني
كيف أطفئ نار وجداني؟!
كنت أسري في غيبوبتي
ضاحكة لقهري
أتلذّذ ناي الأوجاع اذ يخترقني
فأيقظتني أياد تربت على كتفي

و تأخذني لحديقة من الزّمن
حملت أقدامي متثاقلة
عبر شارع حزني...
و الأعين تنظرني
كمن تنظر وجع الخنساء
و الآهات بداخلي قد فاقت أوجاعها
فأكملت طريقي
تاركة آخر ما تبقّى منّي
هناك ...
عند مغرب الشّمس!
فصرتُ أغرقُ بحبر غامض
لم يعد يفهمني
و كأنّي قد تجرّدت من الكلمات
أوربّما
هي من تبرّأت من حزني
علّني ..
قد أثقلت على القلم مواجعي...
فرحتُ أجثو
و المدامع تواسيني

حتّى أنهيت طريق غربتي
فوجدت حكاياتي آخر الطّريق...
حديقة من الزّمن
و حروفي الميّتة تبدّدت
فأضحت مطرا
يروي ظمئي..
و أغرقتني ببحر من الكلمات
قد كنت أفتقدها
مسكت قلمي من جديد
و رعشة الفؤاد لازمتني
فقلت ...
أنا من تقف أمامي
كلمات الشّعر حيارى
و يموت بيدي ألف قلم
أدفنه بين الحروف و المدامع...
أنا من خضت معارك الدّهر
فاختلجني ألف سيف
و لم يمتنِ
فقتلتني مواجعي...

محتويات الديوان

إهداء	5
مقدّمة	6
مهلا أيها التَاريخ	8
جُنُونُ الشّعر	14
سَكرَةُ حُزن	18
بكفّي دُموعٌ	21
لغة الضّاد	27
رَحيقُ حُلم	31
أحبالُ المسد	34
آهات الشّعر	39
ذاكرة ميّتة غرقا	43
ساحةُ الإعدام	47
و كم خانتِ الأقلامُ	51
جادني الشّعرُ	56
سوريا	60

يوميات الحجر المنزلي	63
وجعُ لاجئ	68
يا روحُ لا تشتكي	76
حديقة من الزّمن	79
محتويات الديوان	82

تم بحمد الله

غبار الصمت

ديوان شعر فصحى

هجيرة بختي

الطبعة الأولى
1442 هـ 2020 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com